تقديم

«قصة هذا الكتاب»

(١)

منذ انفجر العنف الدامى بشكل لم يسبق له مثيل فى أوائل التسعينيات هنا فى مصر، وكذلك فى الجزائر الشقيقة، وإن اختلفت الأسباب والظروف، ظهر اهتمام متزايد هنا فى الشرق فى بلاد العرب والمسلمين وهناك فى الغرب الأوروبى والأمريكى بظاهرة جماعات العنف، وبدأت بعض الجهات المحلية دراسة هذه الظاهرة، ولقد كتبت أول مقال منظم للنشر عن «العنف وكيفية علاجه فى الحالة المصرية» وكان ذلك أواخر عام ١٩٩٧م ونشر فى جريدة «الحياة» اللندنية وذلك بعد حادث الأقصر الإجرامى الذى راح ضحيته أكثر من ٦٠ شخصًا، وبعدها طلبت منى جماعة تنمية الديمقراطية كتابة دراسة عن «التوترات داخل التجمعات السياسية ذات الطابع الدينى» كان ذلك فى عام ١٩٩٨م، ثم طورت هذه الدراسة لأقدمها فى ندوة تنظمها «مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى» التى يرأسها الشيخ أحمد زكى يمانى فى لندن فى مارس عام ٢٠٠٤م، ثم تكررت الكتابة والمحاضرة عدة مرات عن هذا الموضوع حتى قررت أن أجمع كل ذلك فى هذا الكتاب الذى بين أيديكم.

(٢)

والكتابة فى مثل هذه الموضوعات يكون طرفاها نوعين من الكُتَّاب، إما شخص عاش هذه الحركات واقترب منها، فله تجربة وشهادة أقرب ما تكون لرؤية من الداخل، والنوع الثانى من الكُتَّاب هو الذى درس الظاهرة من خارجها وتتبعها وتخصص فيها، ولعل كاتب هذه السطور قد جمع بين الصفتين إلى حد كبير، فلقد اقتربت من أفكار هذه المجموعات والحركات وعايشتها فترة مهمة حين التشكل والتبلور، ثم ظللت

أتابعها وأرصدها بعد ذلك كدارس للظاهرة ومتابع لها، وبالتالى ستجد عزيزى القارئ كثيراً من المعلومات، مصدرها كاتب هذه السطور من خلال المعايشة والحوار مع عدد مهم من قادة ورموز هذه الحركات، سواء فى بدايات الحركات الإسلامية المصرية فى مرحلة الظهور الثانى فى منتصف السبعينيات، أو خلال الفترة التى قضيتها فى السجن، والتى تم فيها أيضًا حوارات ومناقشات، وللعلم فإن هذه الدراسة أو الجسم الرئيس منها كُتب ـ كما قلت ـ بين عامى ١٩٩٧ و ١٩٩٨م أى قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م والذى ظهر بعده مزيد من الاهتمام والتركيز حول هذه الظاهرة.

(٣)

بدأ فى عام ١٩٩٧م ظهور فكرة التحول عن أعمال العنف عند أكبر وأهم مجموعة مارست العنف فى الفترة الأخيرة وهى «الجماعة الإسلامية» التى تبنت العنف، وكان ذلك فى شهر يوليو عام ١٩٩٧م بمبادرة وقف العنف، وهو إعلان من خلال بيان صحفى بالتوقف عن العنف، لكن بعدها بشهور قليلة حدثت حادثة إجرامية كبيرة فى شهر نوفمبر من العام نفسه ١٩٩٧م فى الأقصر لعناصر محسوبة على هذه الجماعة، وراح ضحية هذا الحادث أكثر من ٦٠ قتيلاً معظمهم من السائحين الأجانب؛ مما شكل ضربة موجعة لقطاع السياحة، وكذلك لمصداقية قيادة «الجماعة» الموجودين بالسجن والذين صدر عنهم بيان وقف العنف، وظهر أن هناك خلافًا كبيراً حول المبادرة بين قيادات الداخل وقيادات الخارج (أى قيادات الجماعة الموجودين خارج مصر) وخاصة رفاعى أحمد طه، وكان رئيسًا لمجلس شورى التنظيم بالخارج، ومضى وقت حتى صدر تأكيد على المبادرة نفسها من قيادات الداخل والخارج معًا وخاصة بعد استبعاد رفاعى أحمد طه من قيادة الخارج.

ولقد كتبت وشاركت فى برامج تليفزيونية ورحبت بهذه المبادرة، ولكنى طالبت ـ حتى تكتمل ـ بضرورة إصدار كتب ووثائق تعيد التنظير للفكر الجديد، وخاصة أن فكر «العنف» تم التنظير له فى دراسات وكتيبات سابقة، وفعلا علمت أنهم شرعوا فى كتابة هذه الدراسات خلال عامى ١٩٩٨و١٩٩٩م وبدءوا يُدرّسون هذه الكتيبات والدراسات لعناصرهم داخل السجون المصرية المختلفة، لكن الرأى العام لم يسمع بهذه الكتب والدراسات ـ والتى عُرفت باسم «المراجعات» ـ إلا حين صدرت فى يناير عام ٢٠٠٢م بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م ببضعة شهور، مما أثار

تساؤلات عن مدى ارتباط هذه المراجعات بأحداث سبتمبر ٢٠٠١م، والحقيقة التى أعلمها أن هذه الدراسات قد تمت بالفعل، وتم تدريسها قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، ولقد قرأت هذه الدراسات بإمعان وعلقت عليها فى كثير من المقابلات الصحفية والتليفزيونية، وهى فيها جوانب إيجابية كبيرة وكثيرة، خاصة التراجع التام عن انتهاج خط العنف فى التغيير والتكفير وخاصة للدولة والأفراد، ولكن ظلت هناك ـ وهذا شىء طبيعى ـ ملاحظات نقدية حول ما ورد وفق هذه الكتيبات التى صدرت.

ولقد ذكرت هذه الملاحظات وضمَّنت أغلبها فى هذه الدراسة بشكل مُركز، ولقد علمت أن أحد قيادات «الجماعة» غاضب من هذا الرأى، فتذكرت أنه ـ هو أيضًا ـ كان غاضبًا حينما انتقدت هذه الأفكار التى تراجع عنها الآن فعذرته؛ لأنه فى حالة صعبة، فهو الذى قاد كل هذه الأحداث الدامية طوال أكثر من سبعة عشر عامًا، وها هو الآن يقود عملية التغيير بشكل جلب عليه نقدًا من نوع آخر. وأنا أعلم أنه أصلا يضيق بالنقد، فهو معذور، وهذا هو موقفى؛ لأن الحق أولى من غضبه، والحرص على الأوطان ومصلحتها أكبر من الحرص على وده الذى كان بيننا قديمًا.

(٤)

لكل ما سبق سأبدأ هذا الكتاب أو «الدراسة» بفصل عن خبرتى الشخصية بهذه التجربة وأسباب اهتمامى بها، ثم فصول الدراسة الأصلية عن الجذور التاريخية لجماعات العنف، والأسس الفكرية والفقهية المغذية لها، والمصادر الفكرية لها، وأخيرًا المراجعات التى صدرت مؤخرًا وملاحظاتى عليها. ثم أنهى هذا الكتاب بالمقال الذى نُشر فى جريدة الحياة فى نهاية عام ١٩٩٧م بعد حادثة الأقصر كما ذكرت؛ لأن ما ورد فيه ما زال صالحًا حتى الآن لمن يريد أن يستفيد من علاج هذه الظاهرة، وخاصة أنها تكررت فى كثير من بلدان العالم العربى والإسلامى، فما ورد بين دفتى هذا الكتاب هو ما سبق أن نشرته فى أوقات مختلفة حول هذه الظاهرة، وخاصة فى الحالة المصرية التى هى ـ كما قلت ـ نموذج تكرر فى أماكن كثيرة باختلافات طفيفة، ويجعل المهتمين بالظاهرة من كل حدب وصوب قد يجدون بين هذه السطور ما يعينهم على فهمها والتعامل معها.

والله من وراء القصد

أبو العلا ماضى

القاهرة فى ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ

٢٥ من مايو ٢٠٠٦ م